

الجزء الأول
السيرة والإنتاج



كلمة بين يدي هذه الدراسة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

مازلت أذكر أول مرة عقدت فيها الصلة بفكر سيد قطب ~ ، كان ذلك بالتأكيد ، منذ ربع قرن تقريبا ، مازلت أذكر ذلك جيدا .

اقتنيت كتابه « النقد الأدبي : أصوله ومناهجه » وأقبلت عليه أقرؤه بشغف ولهفة ، وخاصة في تلك الفترة من الزمن التي كانت بالنسبة لي فترة الإدمان على القراءة ، محاولا الاتصال بالفكر في شتى واجهاته ؛ ولذلك كنت أنفق اليوم في الالتئاس بالمعرفة وفتح الحوار معها لأخذ منها بحظي في نهم وشره بالغين بجانب الدروس الرسمية والخاصة ^(١) التي كنت أتلها عن السيد الوالد ~ تعالى .

(١) كانت هذه الدروس تشتمل على علوم اللغة والدين ، وكان بين العشائين ، وكنا نتلقاها بالطريقة القديمة في دراسة المتون وشرحها ، وما أحسنها من طريقة .

مازلت أذكر جيداً جيداً .

قرأت كتاب سيد قطب « النقد الأدبي » وعرفت برغم صغر السن وفتاء العمر ، بعد انتهائي من قراءته مكانة الرجل الأدبية والنقدية ومستواه الفكري السامي .

والدليل على ذلك أنني شعرت بشوق يجمع بي فور الانتهاء من قراءة الكتاب المذكور إلى البحث عن إنتاجه الآخر ، وساعفتني الأقدار الحكيمة باقتناء كتابه الفريد « التصوير الفني في القرآن » ، أقبلت عليه أيضاً أقرؤه بشغف ولهفة ، وعشت في حواء من دراسات فنية جيدة لنصوص القرآن الكريم ، وبعد انتهائي من قراءته أكبرت الرجل وأحببته في الوقت نفسه ، وتعرفت مدى ما يملكه من قدرة في التحليل الأدبي والدراسة الجمالية ، مما جعلني أكتب عن هذا الكتاب حديثاً في جريدة الحسنی^(١) أقدمه للقراء ، وعلى الخصوص لمن لم تسعفه الظروف بقراءته .

مازلت أذكر جيداً جيداً .

قرأت كتابه « التصوير الفني في القرآن الكريم » فجمع بي الشوق إلى البحث عن بقية إنتاجه ، أبحث عن إنتاجه الأدبي الآخر ، ورحت أتصيد كل ما يصدر من كتبه في طبعاته الجديدة ، وسعدت بقراءة كتابه أو على الأصح ، سيرته الذاتية « طفل من القرية » وقصته الرومانسية « أشواك » ، وقصته الرمزية « المدينة المسحورة » .

وهكذا ، إذا ، كانت صلتي الأولى برائد الفكر الإسلامي الحديث الشهيد سيد قطب ~ عن طريق إنتاجه الأدبي ، ولا أخفي عليك - قارئ الكريم - أنني شكرت لأدبه الجميل كبير الشكر حسن صنيعه ، إذ ربط بيني وبين صاحبه بأسباب جعلتني أستشرف آفاق فكره الإسلامي بعد أيام وأيام .

= وكانت حلقة هذه الدروس تضم جماعة من الإخوان من بينهم الأخ الدكتور حسن الوراكي الذي لم يكن ينقطع عنها وكان السارد الرسمي لها .

(١) العدد ١٩ السنة الأولى ، محرم ١٣٨٢ هـ ، يونيه ١٩٦٢ م .

ولا أخفي عليك - قارئ الكريم أيضا - مدى الإعجاب الذي غمرني وأنا أعيش مع أدبه الحلو الرقيق؛ إذ وجدت في عالمه ما ندى خاطر، وروى النفس، ومتع الإحساس، وهذب الشعور، وصقل الذوق، وفتح نوافذ لي أشرفت منها على دنيا وضيئة.

مازلت أذكر جيدا جيدا.

اتصلت بعطائه الأدبي، وعرفت للرجل موقعه في أدبنا العربي الحديث، وشعرت حينذاك بحافز من الشوق يشدني إليه شدا ويقودني إلى تمثيل فكره الإسلامي، وقد كان سيد قطب في هذه الفترة بالذات في غياهب السجن يعاني ألوانا من التعذيب من أجل هذا الفكر، فرحت أتابع وأتابع ما تصدره دور النشر من عطائه في هذا المجال في طبعات جديدة، واكتشفت بعد مدة من التمرس بفكره ريادته في الفكر الإسلامي الحديث بجانب ريادته الأدبية.

وإن ما يلفت النظر في إنتاجه الإسلامي صدق اللجة، والجههر بالحق، والمواجهة الصريحة دون أن يجامل أحدا، أو يدهن فلانا، أو ينافق علانا، الأمر الذي جعله يقدم رأسه فداء لتصوره العقدي السامي، وقد قدمه من قبله من أجل الهدف نفسه أفذاذ من السلف الصالح؛ لذا كان كل حرف كتبه في هذا الميدان ينضح بالصدق، وكل كلمة فيه تنبض بشعور ندي بالإيمان الحق الذي لا يعرف إلا طريقا واحدا في الحياة هو طريق الإسلام، أما غير طريق الإسلام فهو جاهلية ولا يمكن أبدا أن يلتقي الإسلام والجاهلية، فإما إسلاما وإما جاهلية، وإما إيمانا وإما كفرا، وليس هناك طريق ثالث بحال من الأحوال.

مازلت أذكر جيدا جيدا.

صاحبت سيدي في فكره الإسلامي فازداد إعجابي به توهجا، وإكباري له ازدهاء، وقد يبدو في هذا القول غلو عند بعض الناس، وقد لا يبدو عند البعض الآخر على

هذه الصفة ؛ إذ يرى فيه الإنصاف كل الإنصاف ؛ لأنه ينظر إلى الأمر بمنظور إسلامي صرف .

والحق الذي ما بعده إلا الضلال أن الإنسان المسلم لا يمكن له بحال أن يكتف في نفسه صوت الحب نحو سيد قطب ~ وإلا يكون بذلك قد تنكر لخدماته الجليلة التي اضطلع بها من أجل لغة القرآن وأدبه وعقيدته السمحة ، تلك العقيدة التي وهبها عبقريته ، ونفحها مواهبه واصلا الليل بالنهار ، والآصال بالأصباح لا يفتر عن العمل إلى أن أفضى به هذا الرسوخ العقدي إلى رفض الجاه والمال وأعلى المناصب في الدولة ، وأغلق أذنيه عن نزعات المساومات التي بذلها الحكام لاستئثاره على نحو ما فعلوا مع علماء السوء ؛ لذلك كتب عطاءه الإسلامي بدمه الزكي ، فبعث بسبب هذا في فكره الحياة ، وأصبحت كل فكرة فيه تنبض روحا ، وتشع خيرا ، وتندى خصباً ، وتأتلق على مدى الأحقاب خضرة تنعش الأحياء ، ولقد كان يعني ذلك حين قال متنبئاً باستشهاديه وباستشهاد أمثاله من أجل كلمة الحق : «إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيراً ولكن بشرط واحد : أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم ، أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم ، أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ويقدموا دمائهم فداء كلمة الحق » .

« إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثاً هامدة حتى إذا متنا في سبيلها ، أو غذيناها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء » ^(١) .

كيف ، إذا ، لا يشعر المسلم الحق بهذا الشعور يا ترى نحو من ضحى بروحه من أجل أن يعيش الآخرون في سلام مع أنفسهم ، و سلام مع الناس ، و سلام مع العالم ، و سلام مع الكون حتى لا تكون فتنة وحتى يكون الدين لله ؟

(١) انظر كتابه « دراسات إسلامية » ، (ص ١٣٩) ، طبعة دار الشروق عام ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م .

إن هذا الشعور هو نفسه الحب في الله الذي قال فيه الحديث الشريف : « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله » ^(١) .

الحب في الله انتشاء هو زورق يحدو الركائب للضياء عبق إلهي
ينساب في هل للحياة وضأة رواء إن لم تهب ربي الولاء ^(٢)

وكان من دلائل إعجابي بسيد قطب رحمة الله عليه ، أن قلت فيه قصائد رثائية بمناسبة ذكرى استشهاده تشكل ديوانا ينتظر إشراقة النور وهو تحت عنوان : « إلى الجنة عبر أحراش العذاب » ^(٣) .

وألفت فيه مسرحية شعرية تتحدث بالخصوص عن محتته وهي تحت عنوان : « أعراس الشهادة في موسم الشنق » ^(٤) ؛ ذلك لأنني وجدت في شخصية سيد المتماسكة الغنية بكثير من الصفات الإيجابية مادة أدبية خصبة تستحق أن تستثمر في إطار نموذج حي يعكس واجهة الاستعلاء الإيماني في أجمل صورته ، وما أشد حاجة هذا العصر إلى مثل هذا النموذج ليكون منارة خضراء يستهدي بها الحائرون في عتمة الكفر ، والراقصون في وحل التملق ، والمولعون بإحراق البخور .

وكان من دلائل إعجابي به أيضا أن سميت ابني « قطبا » تيمنا بالمدلول اللغوي أولا ، وتيمنا باسمه الغالي ثانيا فقلت في ذلك :

وتفاؤلا سميته قطبا ليز هربرعم عطر الشذى خضل الزهر ^(٥)

(١) رواه الطبراني والبغوي عن حنش وهو متروك ، وله شواهد كثيرة يتقوى بها .

(٢) الأبيات لصاحب هذه الدراسة في ديوانه المخطوط « نوافذ على مدائن العشق والقهر » ، ووردت في كتابه « الحب في الله » ، (ص ٦) ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، مطبعة ديسبريس ، تطوان .

(٣) نشر جلها في صحيفة «النور» الإسلامية المغربية .

(٤) نشرت بصحيفة «النور» ، الأعداد : ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، السنة ٥ ، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م . ثم طبعت مستقلة بمطبعة «النور» ، عام ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ ، مع مقدمة لها تشرح ما يحتاج إلى شرح .

(٥) البيت من قصيدة لي قتلها بمناسبة ازدياد ولدي عام ١٣٩٣ هـ ١٩٧٤ م ، وهي ضمن ديواني المخطوط « في وهج الوجدان » .

ومن دلائل إعجابي به أيضا هذه الدراسة عن تفسيره « في ظلال القرآن » ، تلك الدراسة التي أثمرتها ما صرفته من أيام وأيام في الإكباب على قراءته والتمتع بجوائه العطرة .

ولقد آثرت أن أخصص لكل مجلد منه شهرا في العام ، وآثرت كذلك أن يكون هذا الشهر هو شهر رمضان المبارك لأعيش في مناخ منعش تنداح في آفاقه بركات رمضان ، وينساب في رحابه جلال القرآن ، ويشرق في عرصاته جمال التفسير .

والحق أنني حين آثرت ذلك أصبت الاختيار ، إذ اتلفت هذه الأمور الثلاثة : بركات رمضان ، وجلال القرآن ، وجمال التفسير ، متناغمة فيما بينها على تمتيع أشواق الروح وإنعاش لهفة الفكر ، فحييت حقاً شهراً رمضانيا استروحت خلاله أطايب البركة ، واستمعت إلى الله تعالى في خشوع العبد الذليل يخاطبني بوحيه الكريم النفاذ ، واستمعت إلى « الظلال » يتحدث إلي عن خطاب الله ، ويحملني أثناء ذلك على أجنحة الخير يكشف لي عن آفاق الإعجاز البياني في البنية التعبيرية ، وفي مسارب النفس ، وفي الحياة وفي نظام المجتمع ، وفي أسرار الكون ، وما شئت من هذه العجائب الربانية التي تتواكب مشاهد عبر الكتاب المعجز .

هكذا سرت مع كل مجلد من « الظلال » - ومجموعه ثمانية مجلدات - أرصد له من الزمن شهراً واحداً في العام هو شهر رمضان ، وكان مجموع الأشهر المصروفة في هذا البرنامج الرمضاني المبارك ثمانية على عدد مجلدات « الظلال » ، وانتهى البرنامج بعد ثماني سنوات ، وحين أكملت « الظلال » شعرت بوهج الانتشاء يسري في رحاب الكيان ، فقلت قصيدة ذات مقاطع ثلاثة ، وأرى من المناسب أن أنقل المقطع الأول منها للقارئ لعله يشاركني ما انطبع في نفسي من إحساس نحو «
الظلال» :

روح وريحان يزفهما «الظلال» قدسا من الرحمن مخضل الجلال

شقت مراكبه دجى الجور اللعي — ين فصار موكبه مشاعل في ليال
 قاد الخطى غسقا إلى مغنى العلا — تنداح فيه منى السنا ورؤى الجمال
 ضج العناد فراح ينفث حقه — ويسوق في حنق ركائبه «جمال»
 وتملكت رؤيا «يعوق» هواجس الـ — قلق المؤرق فالتظى شر الوبال^(١)

وانتهيت من قراءة «الظلال» ونفسي مفعمة بشتى الخواطر وأشتات الانطباعات ،
 وبدا لي — وأنا لا زلت أقرأ المجلد الأول منه — أن هذا التفسير الجليل الطريف
 يستحق دراسة علمية وعلى الخصوص عن منهجه في التعامل مع النصوص القرآنية ،
 فرحت أسجل ما يعن لي من أفكار ، وما يخطر لي من ملاحظات ، وعقدت العزم
 متوكلا على الله تعالى طالبا العون والتوفيق منه ، على الشروع في هذا العمل فور
 الانتهاء من آخر مجلد من «الظلال» ، وكذلك كان الأمر .

وحين استوت لدي معالم هذه الدراسة ، وأشرقت ملامح آفاقها ، أخذت أفكر
 في وضع تصميم هندسي لها — وهذه أصعب مرحلة في البحث العلمي كما يعرف
 ذلك من عانى مشقة البحث وخبر معائر طريقه مدة من الزمن غير قصيرة — وكان
 هذا التصميم ، وأنا إذا توصلت إلى تصور تصميم البحث ، أي بحث ، سهل على الأمر
 جدا ، لأنني أكون بذلك قد تبينت الطريق وأبصرت موضع الأقدام ، وما أسهل علي
 المضي فيه قدما نحو المدى الرحب أفتح رحابه أفقا أفقا مواليا الفتوحات المظفرة .

وأود — قارئى الكريم — أن أحدثك حديثا غير طويل أشرح لك فيه الخطوط
 العامة لهذا التصميم .

تنقسم هذه الدراسة إلى قسمين : القسم الأول خاص بحياة سيد قطب ~ ،
 من لحظة المولد إلى لحظة الاستشهاد وبآثاره الفكرية ، ويتضمن باين :

(١) القصيدة بديوانى المخطوط الذي سبق ذكره «إلى الجنة عبر أحراش العذاب» .

الباب الأول : يحتوي فصلين : واحد مخصص للحديث عن طفولته إلى مرحلة الشباب ، والآخر مخصص للحديث عن مرحلة ما بعد الأربعين .

والباب الثاني : يحتوي فصلين أيضا : واحد مخصص لعمله الأدبي والآخر مخصص لعمله الإسلامي .

والقسم الثاني : خاص بموضوع «منهج سيد قطب في تفسير القرآن الكريم» وقد مهدت لموضوع هذه الدراسة بمدخل عن الحركة التفسيرية المعاصرة . ومنهج سيد قطب عندي في التفسير - والله أعلم - نوعان : منهج فكري ومنهج فني .

أما المنهج الفكري - ويتضمن ثلاثة أبواب ، يحتوي كل باب منها على فصلين أو فصول - فيتحدد في استشراف آفاق سيد قطب في تفسيره لآيات الأحكام سواء في المجال الفقهي ، أو في قضايا الفكر الإسلامي بعامة ، مع التعرض لما أثير من شبهات حول «الظلال» وبسطها على محك النظر والبحث ، ويتحدد كذلك في استشراف آفاق منهجه في تفسيره الآيات النبوية وآيات العالم الآخر أو الغيبي والآيات العلمية .

أما المنهج الفني فيتحدد هو الآخر في استشراف آفاق منهج سيد قطب في الإعجاز البياني للقرآن الكريم ، وفي القصة القرآنية وشخصياتها الفنية ، وكل ذلك يتضمن في الباب الرابع ويحتوي ثلاثة فصول ، ثم أختتم ذلك بخاتمة عن الدراسة .

وأحب بعد كل هذا أن أنبه على أن ما ذكرته سالفا من مشاعر الإعجاب وأحاسيس الإكبار نحو الإمام العزيز سيد قطب رحمه الله عليه ، لا يمكن ، بالجزم ، أن يكون له أدنى وزن في الحكم عليه في قضية من القضايا التي ستعرض لها؛ إذ الحق عندي - والحمد لله على فضله - مقدس لا تنتهك حرمة مهما كانت الظروف فهو أحق أن يتبع والباطل أحق أن يحتجب ، وذلك ما يجعلني أتحامى المداينة على حساب العقيدة - بعكس ما يفعل الكثير من الناس لأجل مصلحتهم الخاصة -

حتى ولو كان في ذلك مصلحتي فأوثر ما عند الله على ما عند العبد ، والحمد لله ثانياً على هذا الفضل والمنة .

وسيد قطب نفسه كان مثلاً حياً في اتباع الحق ولو كان مرا ، وفي «الظلال» لمحات من هذا ؛ إذ نجد فيه سيداً لا يستحي أن يتراجع عن رأي ، ولا يستحي أن يقدم شكره لمن نبهه على خطأ وقع فيه ، وتلك هي الفضيلة في أسمى صورها ، والتي علمها الإسلام أبناءه منذ عهده الزاهر الأول ، ولا زال إلى الآن ، فليس هناك في الوجود من لا يناقش في فكره سواء أكان عالماً أم غير هذا أو ذاك إلا الصادق المصدوق ؛ لأنه وحي يوحى ، ويذكرني هذا بقول الإمام مالك ~ : « ليس بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ » ^(١) .

لقد صدق الإمام مالك في هذه القولة التي اشتهرت عنه ؛ إذ ليس هناك من البشر - وهو منهم - من يزعم لنفسه العصمة مهما سمت منزلته وعلا في العالمين شأنه إلا من نفخ الشيطان في عطفه ، فإنه قد يذهب هذا المذهب المتطرف الشاذ ، فيحيط نفسه بهالة من التقديس ربما قد يفوق في مبالغته ما للأنبياء من تقديس ، الأمر الذي يجعله لا يرى أبداً في رأي الآخرين ما يصلح لأن يكون عمدة في أمر من الأمور ، ويرفض كل الرفض أن يناقش رأيه ؛ لأن رأيه منزّه - كما يظهر - عن الخطأ .

والحق أن كل قول قابل للأخذ والرد إلا قول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه وحي يوحى ، ومع ذلك فقد كان رسول الله ﷺ يتقبل آراء أصحابه بصدر رحب ويعمل بها إذا لم يكن هناك أمر إلهي يضع الحق في نصابه ، وكان هدف نبينا ﷺ من ذلك هو أن يعلم أمته حرية الرأي في صورتها الحقيقية ، وحرية التعبير في مظهرها الحق ، وفعلاً علم أمته العظيمة ذلك ، فلقت الإنسانية هذه المبادئ

(١) نقل هذه الكلمة الرائعة السبكي في الفتاوى ج ١ ص ١٤٨ ، وقال عنها : «أخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد ، وأخذها منها مالك واشتهرت عنه ﷺ» .

ونشرتها في كل أرض .

ولو عقل الناس كلام الإمام مالك عليه السلام لما جمد بعضهم ممن يزعمون لأنفسهم العلم على الاجتهاد في مذهب معين في حين النص الحديثي الصحيح يخالف هذا الاجتهاد؛ إنه ولا شك تناول من الجامدين على الوحي وكفر به في الوقت نفسه؛ لأنهم آثروا اجتهاد البشر على الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولو عقل الناس والحكام كلام الإمام مالك لانتفى من الأرض الجور ، وازدهرت حرية التعبير في الصورة المشرقة ، وتلاقت الأفكار بسبب انتشار النقد البناء ، والتوجيه السليم ، والنقاش الصريح في جميع مجالات الحياة .

هذا من نحو ، ومن نحو آخر فإنه يجب أن نشير إلى حقيقة لا مجال لإنكارها البتة هي أن سيد قطب قد كان رائداً في كثير من الحلقات : في الأدب والنقد والبحث والسياسة والاجتماع والدعوة والجهاد والاستشهاد ، برغم ذلك تجاهل ريادته وسمو منزلته الدارسون ، وذلك لظروف مرت بها مصر أقل ما يقال فيها : إنها ظروف من القهر السياسي لم تعرفها مصر حتى في أيام فاروق الحالكة ، الأمر الذي دفع الدارسين - كما سيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في الفصل الثاني من الباب الأول تحت عنوان الثورة والتراث الفكري لسيد قطب - إلى أن يتحاموا الحديث من قريب أو بعيد عن فكره كله سواء الأدبي منه أو الإسلامي خوفاً من أن يلحقهم الأذى بعد أن سادت البلاد موجة كبيرة من الاعتقالات والاختطافات في صفوف الدعاة ، وكل من قال بعودة المسلمين إلى تحكيم كتاب الله في حياتهم .

مهما تكن الحال فبعد أن تغيرت الظروف وتبدلت الأوضاع عقب موت جمال عبد الناصر أصبحت الأسواق العلمية تستقبل بين الفترة والأخرى كتباً عن سيد قطب وأدبه وفكره بجانب ما استقبلته بعد وفاته مباشرة من بحوث عنه في مجالات

مختلفة ، كما أصبحت المدرجات الجامعية تستقبل هي الأخرى دراسات عن حياته وفكره ، وكأن الدراسين والمشتغلين بالعلم كانوا يتطلعون بكبير شوق إلى اليوم الذي تنجلي فيه ظلمة القهر السياسي عن مصر ليهتموا بهذا الرجل الذي خدم الأدب العربي خدمة جليلة على نحو سليم لم يخدمه به بعض من يعتبرون من أقطابه وعمدائه وهم صنيعة ، بالتأكيد ، من صنائع الغرب الخبيث ، كما خدم عقيدة الإسلام خدمة جليلة أيضا حتى أنه ضحى بكل عزيز لديه من أجلها ، فمات لتحياء أفكاره تنير للحيارى طريق الخير .

وبعد :

فهذا غرس جهد رضت النفس على المضي في طريقه مستلذا النصب ، باذلا التضحية ، غير ضنين بالوقت ، فما كنت ضنينا في حياتي بوقتي من أجل الفكر والعلم وعلى الخصوص ما يتعلق بأمر عقيدتي وما يمت إليها من قريب أو بعيد؛ لأنها النور الذي أنظر من خلاله إلى الحياة .

مهما يكن من أمر فلن أزكي هذا الغرس فإن التزكية ليست من حقي ، ولكن من الظلم - كما أرى - ألا ألمح إليه وأنبه عليه لعله يوقظ الغافل عن المحاسن ، فلربما هذه المحاسن تشفع لي حين يعثر من يعثر على المساوئ؛ إذ العمل البشري لا يخلو البتة من المساوئ ، أو ليس من صفته النقص ، ومن صفة الله تعالى الكمال؟

فأمل أن يحظى بالقبول ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

الباب الأول السيرة

الفصل الأول : من الطفولة إلى الشباب .

الفصل الثاني : بعد الأربعين .



الفصل الأول من الطفولة إلى الشباب

المولد والنشأة :

بقرية « موثة »^(١) الجميلة الحاملة حيث المياه تفيض على الربوع سخية ، فتغمر منها ما تغمر حاملة الخصب والخير ، تستحث السواعد المفتولة على العمل الجاد ، وتنبه في الإحساس شوق الحياة وخاصة بعد أن تشرق مشاهد الطبيعة زكية نضرة ، تملأ الخاطر بشتى ألوان الأحلام الخضراء الندية .

بهذه القرية المعطاءة الواقعة في محافظة « أسيوط » في الوجه القبلي من ريف « مصر » استقبلت الحياة الطفل سيّدًا كما تستقبل كل مولود ، وذلك عام ١٣٢٤ هـ الموافق سنة ١٩٠٦ م . ويرجع أصله إلى الأرومة الهندية اعتمادا على ما أورده الأستاذ الداعية أبو الحسن الندوي في كتابه « مذكرات سائح في الشرق العربي »^(٢) الذي اعتمد هو أيضا في هذا على سيد قطب نفسه؛ إذ صرح له في لقاء معه بأن جده السادس الفقير « عبد الله » كان هندیًا .

كان والده « الحاج إبراهيم » متدينا ، ذا مكانة ملحوظة بين أهل القرية ، جوادا ينفق ولا يبخل على الأسرة بشيء ، الأمر الذي جعله حين يقع في ضائقة مادية يبيع ما يملكه من قطع أرضية ، وقد غمر كرمه هذا حتى الخدام والعمال ، ولم يكن

(١) ذهب الدكتور مهدي فضل الله في كتابه « مع سيد قطب في فكره السياسي والديني » ، ص ٤٣ ، ط ٢ ، عام ١٣٩٩ ، ١٩٧٩ ، مؤسسة الرسالة إلى أنه ولد بقرية « قها » من محافظة أسيوط ، والصحيح ما أثبتناه ؛ لأن جل المراجع عنه تؤكد هذا ، ومن هذه المراجع ملف خاص عن سيد يوجد بقسم المحفوظات بوزارة التربية والتعليم ، انظر : الأستاذ عبد الباقي حسين ، رسالة ماجستير بالآلة المكررة تحت عنوان « سيد قطب : حياته وأدبه » كلية دار العلوم عام ١٤٠٠ ، ١٩٨٠ .

(٢) (ص ١٥٣) ، الطبعة الثانية ١٩٧٥ ، مؤسسة الرسالة بيروت .

يسمح لهم بأن ينادوه « سيدي »^(١) .

تزوج والده زوجتين ، أنجبت الأولى أولاداً ، وقد ألمح سيد إلى أحد منهم وهو أخوه الأكبر غير الشقيق في كتابه « طفل من القرية »^(٢) ، وأنجبت الثانية – وهي أم سيد – خمسة أولاد : ذكران هما : سيد ومحمد^(٣) وبنات ثلاث ، « نفيسة »^(٤) و « أمينة »^(٥) و « حميدة »^(٦) ، وأكبرهم نفيسة ، ويليهما سيد ، وأمينة ، ومحمد ، ثم الصغرى حميدة . وكانت أمه هي الأخرى متدينة تنتمي إلى أسرة معروفة ، وقد اعتنت بتربيته أيما

(١) انظر : كتاب سيد قطب « طفل من القرية » ، ص ٨٠ ، ط ٤ ، عام ١٣٨٧ ، ١٩٦٧ .

(٢) ص ٣٣ و ١٥٦ و ٢٠٧ .

(٣) ولد سنة ١٣٣٨ الموافق عام ١٩١٩ م . عاش في رعاية أخيه سيد ، فكان له أخا مخلصاً وأبا عطوفا رباه فأحسن تربيته ، التحق بالتعليم الابتدائي ، ثم الثانوي ، ثم التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة حصل على ليسانس في الإنجليزية ، ودبلوم في التربية وعلم النفس ، وبعد التخرج التحق بوزارة التربية والتعليم ، غادر مصر إلى السعودية للعمل هناك في جامعة الملك عبد العزيز وهو لا يزال إلى الآن بها ، ويعتبر محمد قطب من كبار الدعاة والكتاب الإسلاميين ، له كتب عديدة من بينها « دراسات في النفس الإنسانية البشرية » ، و « منهج الفن الإسلامي » ، و « التطور والثبات في حياة البشرية » ، انظر : الخالدي « صلاح » ، سيد قطب الشهيد الحي ص ٦٤ – ط ١ ، مكتبة الأفقي عام ١٤٠١ سنة ١٩٨١ .

(٤) تكبر سيداً بثلاث سنوات ، لا نعلم لها مشاركة أدبية ، استشهد ابنها « رفعت بكر نافع » الطالب في كلية الهندسة بجامعة القاهرة ، وذلك أيام محنة الإخوان المسلمين ولحقها الأذى في سبيل الله ، إذ سجنّت وعذبت رغم شيخوختها ، انظر : رزق « جابر » مذابح الإخوان المسلمين في سجون ناصر ص ١٤٢ ط ٢ دار الاعتصام عام ١٣٩٨ – ١٩٧٨ .

(٥) أدبية عذبت هي الأخرى لها أعمال أدبية خاصة في القصة ، من بينها مجموعة قصص « في الطريق » ، وقصص أمينة كلها تلتزم في المعالجة التصور الإسلامي ، انظر : قطب « محمد » ، منهج الفن الإسلامي ص ٣٢٦ – دار القلم ، « بدون تاريخ » .

(٦) أدبية سجنّت وعذبت كذلك ، كتبت مقالات في مجلة « المسلمون » ، وشاركت مع إخوانها في إخراج كتاب « الأطياف الأربعة » ، انظر : رزق « جابر » ، مذابح الإخوان ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

اعتناء ، وأخصبت في نفسه الحب إلى المعرفة والعلم والثقافة .

ومهما يكن من أمر فقد عمل أبواه على تنشئته نشأة طيبة؛ إذ استطاعا أن يبذرا في أعماقه الإيمان والأنفة والمروءة من خلال تصرفاتها اليومية ، ومعاملاتها مع الناس ، والقيام بمسؤوليتهما الدينية على خير وجه ، الأمر الذي كان له انعكاس على حياته منذ نعومة أظفاره إلى أن ظفر بالشهادة .

من ذلك مثلا أنه كان يرفض وهو صغير أن يرتكب ما يؤدي إلى خدش مروءته ، فحينما هرب من المدرسة سأمًا من التمرينات الرياضية أحس بعد أن هدأت فورة أعصابه بالحياء يغمره؛ إذ أدرك ما في فعلته من غضاضة ، «وكان على صغر سنه يدرك هذه الغضاضة فلم يستطع أن يواجه أهل البيت بفعلته - لا خوفا فقد كان آمنا من الضرب - ولكن حياء من الفعلة التي لم تكن تليق ، ففضل أن يزوي وجهه عنهم وأن يعتزلهم في مخزن التبن ، وقد كان ملحقا بدارهم الكبيرة ولكن له بابا مستقلا فأغلقه عليه وارتمى فوق التبن ، فنام^(١) .

عاش سيد في هذه الأسرة التي لم تكن بالأسرة البرجوازية ولا بالأسرة الفقيرة ، وإنما كانت أسرة ميسورة الحال يجد في رحابها ما يلبي رغباته ويرضيه في تطلعاته الصبائية .

وفي هذه القرية التحق بالمدرسة الابتدائية ، وفي نهاية السنة الرابعة حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره ، شغف حبا بالقراءة منذ صغره حين كان يأتي إلى القرية رجل يدعى «صالحا» يبيع الكتب في السوق فيسرع سيد بدافع من شوق يتقد بين الجوانح إلى شرائها قبل أن تنفذ « إنه كان عاشقا لهذه المكتبة الفريدة من نوعها في القرية بما تحويه من شتى ألوان الثقافة »^(٢) .

(١) طفل من القرية ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣١ .

حقا إنه كان يلتهم ما يشتريه من مكتبة «عم صالح» التهاما ، ويدفع في ذلك ثمنا لا يستهان به ، ولا يتأخر عن شراء ما كان يعجبه في هذه المكتبة المتنقلة .

من القرية إلى المدينة :

بعد أن أنهى دراسته الابتدائية في القرية تركها عام ١٣٤٠ هـ موافق سنة ١٩٢١ م إلى «القاهرة» حيث أقام عند خاله «أحمد حسين عثمان» الذي كان يباشر التدريس والعمل في الصحافة بعد تخرجه من «الأزهر» ، وهناك التحق بمدرسة المعلمين الأولية تدعى حينذاك مدرسة «عبد العزيز» ، قضى بها ثلاث سنوات حصل بعدها على إجازة الكفاية في التعليم الأولي .

وفي حوالي سنة ١٣٤٤ هـ موافق ١٩٢٥ م التحق بتجهيزية دار العلوم التي لم يكن يلتحق بها إلا من أحرز الامتياز في التخرج من دار المعلمين الأولية ، وبعد ذلك أصبح لسيد الحق في الالتحاق بكلية دار العلوم ، فالتحق بها وتخرج منها سنة ١٣٢٥ هـ موافق ١٩٣٣ م . وعين موظفا بتحضيرية الداودية في السنة نفسها ، ومر عامان انتقل بعدها إلى مدرسة دمياط الابتدائية ، وانتقل من مدرسة دمياط إلى مدرسة بني سويف الابتدائية سنة ١٣٥٤ هـ موافق ١٩٣٥ م ، ومنها انتقل إلى مدرسة حلوان الابتدائية سنة ١٣٥٥ هـ موافق ١٩٣٦ م ، ثم عمل محررا عربيا في مراقبة الثقافة العامة بوزارة المعارف سنة ١٣٥٩ هـ موافق ١٩٤٠ م ، ومنها انتدب إلى إدارة الترجمة والإحصاء في العام نفسه .

وكان من المقرر أن يعاقب على ما يخطه قلمه من كتابات سياسية ، ولكن بدل هذا العقاب بعقاب آخر ، وهو بعثه مفتشا في التعليم الابتدائي إلى «الصعيد» شهرين وذلك سنة ١٣٦٤ هـ موافق ١٩٤٤ م ، وفي هذا يقول هو نفسه في الخاطرة الفنية المنشورة بمجلة «الرسالة» : «كانت الحرب وكانت الأحكام العرفية ، وقال الوزير : لابد أن يفصل هذا الموظف ، أو ينفى من الأرض ، أو يشرذم فيها ، فقد

أبلغتني إدارة الأمن العام عنه أشياء ، إلى أن يقول : «وأبلغت أنني منفي من الأرض وقررت أن أستقيل . وأباها «الرجل الأريحي» الدكتور طه حسين^(١) وقال : لن تصنعها وأنا هنا في الوزارة ، وإلى أن يقول أيضا : «ووفق الرجل بين «أريحيته الكريمة» وتشدد الوزير فكلفني أن أقوم بمهمة تفتيشية في الصعيد لمدة شهرين اثنين أختار فيها من الجهات والمدارس على اختلافها وأفصل اقتراحاتي في إصلاح الدراسة بصفة عامة»^(٢) .

ونظرا لكفاءته العلمية التي أصبح لها وزن ، أي وزن ، انتدب للتدريس بعد عودته من أمريكا بكلية دار العلوم ، وإلقاء المحاضرات بها^(٣) .

وقد ظهر نبوغ سيد قطب وتبرعته مواهبه وهو لا يزال طالبا بكلية دار العلوم ، ويعضد ذلك شهادة أستاذه الدكتور مهدي علام في المقدمة التي كتبها لكتابه الأول (مهمة الشاعر في الحياة) حين يقول : «إنه لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سرورا وقناعة واطمئنانا إلى أنني سأحمل أمانة العلم والأدب من لا أشك في حسن قيامه عليها»^(٤) .

ويقول أيضا : «إنني أعد سيد قطب مفخرة من مفاخر دار العلوم»^(٥) .

وما أن أخذ يمارس مهنة التربية والتعليم حتى راح يقرع عالم الفكر والأدب

(١) لو كان طه حسين يعلم الغيب فاطلع على المكانة العلية التي سيحتلها سيد قطب في مجال الفكر الإسلامي الحديث لاستكثر من الشر ، وألب عليه من ألب لعله يعرقل مسيرة الحركة الإسلامية ولكن الله يفعل ما يريد .

(٢) العدد ٦٨١ السنة ١٤ ، ص ٧٩٦ ، عام ١٣٦٦ ، ١٩٤٦ م .

(٣) انظر : الخالدي «صلاح» سيد قطب الشهيد الحي ، ص ٩٤ .

(٤) ص ٩ طبعة دار الشروق ، بدون تاريخ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٠ .

ناقدا شاعرا قاصا كاتباً سياسياً واجتماعياً يرسل صوته في كل ناد فترتج رحابه تردد صده ، وفي هذا الإبان من شهرته الأدبية والفكرية يقع في حب فتاة قاهرية فيشجعه ذلك على محاولة بناء عش الزوجية فيتقدم إليها يرغب في الزواج منها ، غير أنه اكتشف أن الفتاة تحب غيره ، مما كان له أكبر الأثر في تحريك شاعريته وإحساسه الأدبي ، فأصبح في هم وغم يصارع عواطفه اللاهبة ترجمها إلى شعر يزخر بفحاح الحرمان ، ولهب العذاب ، من ذلك قصيدته « الكأس المسمومة » التي يقول فيها ممزق الأحشاء ساخطاً معذبا :

أقلاك كالشيطان أقلاك أقلاك أقلاك كالسم يسري جد فتاك
إنك في نفسي وفي زمني وفي حياتي كأفعى ذات أشواك

ورغم ذلك فقد استطاع سيد أن يغالب نداءات القلب وكأن كل شيء قد انتهى ، وانتهى بالصورة التي يعيبه أن يحاول بعدها وصل ما انقطع أو رجع ما فات ، كان كبرياؤه يأبى عليه أن يعود ، وكانت مرارة الذكرى تغطي على حلاوتها في معظم الأحيان ، وكانت تجربته تذكره دائما بالآلام ^(١) .

وأصيب سيد قطب في حبه ، وكان ذلك مأساة بالنسبة إليه مما أملى عليه أن يكتب قصته الرومانسية « أشواك » وسيأتي الحديث عنها .

وقد حاول بعد هذا أن يتزوج ، وبذل في ذلك محاولات عديدة بدون جدوى ، ولكنه تزوج بالدعوة إلى الله تعالى فاستشهد في سبيلها ، وكان زفافه في السماء لا في الأرض ، حيث رضوان الله وآلاؤه وروحه وريحانه .

في تيه القلق :

انتقل سيد قطب - كما سبق - من القرية إلى المدينة ، وقد شارف مرحلة المراهقة ،

(١) قصة « أشواك » ، (ص ١١٨) ، بدون تاريخ ولا اسم الناشر .

فحمل معه أشتاتاً من الأحلام؛ إذ إن أمه كانت تعدّه لأن يجابه الحياة الحضارية الجديدة، ويكافح في غمارها كي يسترجع للأسرة مكانتها «وكان كل شيء حول رحلة الفتى يوحى بأن له مهمة عظيمة حتى كأنه ذاهب لفتح عكا»^(١).

إن القاهرة في خاطر سيد أمل وضيء يتلخص في أن يصبح متعلماً، فأخذ يواجه المجتمع القاهري الجديد، وبرغم أن الحياة في القاهرة تختلف كل الاختلاف عن حياة القرية، فإن سيداً استطاع أن يندمج في جوها، وأن يصل أسبابه بها دون أن يحس بما قد يحس به البعض من عقدة النقص، أو عقدة الخوف من مجابهة حياة حضارية لها من مظاهر الجمال البراق ما يدهش الإحساس وخاصة إحساس القروي.

عاش سيد قطب في المجتمع الجديد، وراح على طبيعته يندمج في تياره كما يندمج كل الناس، وراح يعب من نبع المعارف على مختلف أشكالها، ويصاحب العقاد ويتأثر به، وبالطبع كان يتلقى قيم هذه المعارف على علاقتها، ويتمثلها دون أن يحاول فرز الطيب فيها والخبيث، مما كان له أثره في تصدع كيانه ووقوعه في تيه القلق ونار الشك، يبحث عن ذاته الضائعة في خضم التساؤلات والحيرة، ما الحياة؟ وما وظيفة الإنسان؟ ما مصير الكون؟ ما الغاية من هذا الوجود؟ هكذا كان ينطلق في جحيم التساؤلات دون أن يصل إلى جواب مفهم بجد في أحضانه برد اليقين ودفء الاطمئنان.

وسار سيد قطب فترة من الزمن على هذا الدرب المزروع بالشوك، المعتم بالضياح، يلتمس الخلاص فلا يجد، وقد ترجم شعره هذه المرحلة من حياته، من ذلك قوله معبراً عن تشتت الذات والبحث عن سبيل النجاة:

(١) طفل من القرية، ص ٢١٨.

أنقب عن ماضي بين سرائري فألمحه كالوهم أو طيف عابر
 أنقب عن نفسي التي قد فقدتها بنفسي التي أعيأ بها غير شاعر
 وأطلبها في الروض إذ كان همها تأمله يفضي بتلك الأزاهر
 ومن ذلك أيضا قوله في قصيدته «أقدام الرمال» :

نحن أم تلك على الأرض ظلال وخيال سارب إثر خيال كبقايا
 في مقامات وجود للزوال الخطو في وجه الرمال

وإن خير ما يقطع بثبوت هذه المرحلة الضياعية في حياته اعترافه هو بها ،
 وبتخلصه منها بإيمانه بالله تعالى على الوجه السليم يقول : «فالمؤمن يعرف بقلب
 مطمئن وضمير مستريح وروح مستبشرة أنه يلبس ثوب العمر بقدر من الله الذي
 يصرف الوجود كله تصرف الحكيم الخبير .

فأنا أعرف اليوم - والله الحمد والمنة - أنه ليس هناك جهد غيب فكل جهد يجزى ،
 وليس هناك تعب فكل تعب مثمر . وأن المصير مرض ، وأنه بين يدي عادل رحيم ،
 وأنا أشعر اليوم - والله الحمد والمنة - أن الكون لا يقف تلك الوقفة البائسة أبدا ،
 فروح الكون تؤمن بربها ، وتتجه إليه وتسبح بحمده ، والكون يمشي وفق ناموسه
 الذي اختاره الله له في طاعة ورضا وتسليم» ^(١) .

ولكن هذه المرحلة من الضياع ما لبث أن ذابت في وهج الإيمان الغامر حين
 استقر نور اليقين في أعماقه وهيمن على حسه ، وعمر فكره فانطلق لذلك يصحح
 المفاهيم السقيمة التي سيطرت عليه مدة من الزمن ، ويشق الدرب على هدى الله لا
 يرى هناك خلاصا إلا فيه ، كما لمسنا ذلك في النص السابق له ، ولمسناه فيما كتبه إلى
 أن تزوج بالشهادة المعطاء من أجل أن تسود كلمة الله بين الناس .

(١) انظر : في ظلال القرآن المجلد ٧ ، ص ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ط ٤ .

في معترك الحياة الفكرية :

لقد تابع سيد قطب ~ تعالى مسيرته الفكرية فلم تقف مأساة الحب في طريقه حجر عثرة؛ إذ أخذ يبني مجده الأدبي وجاهه العلمي بهمة لا تعرف النصب ، فلفت إليه الأنظار حين شرع يسهم في المعارك الأدبية والفكرية ، ورحبت كبرى المجلات بإنتاجه «الرسالة» و«الثقافة» و«المقتطف» و«الكاتب المصري» ومجلة «دار العلوم» وجريدة «الأهرام» وغيرها .

وكان سيد في خضم هذه الحياة الفكرية لا ينسى أن يربط صلته برواد الفكر حينذاك ، ويتابع بنهم ما يوالي نشره فكان يتابع أستاذه «عباس محمود العقاد» ، ويحضر ندواته الشهيرة باستمرار .

وقد فاجأ سيد قطب عالم الفكر بإنتاجه النقدي حين طلع على الناس بعدة مقالات تحت عنوان «معركة النقد الأدبي ودوافعها الأصلية» ؛ وذلك أن مجلة «الأسبوع» خصصت بابا للنقد سنة ١٣٥٣هـ موافق ١٩٣٤م تحت عنوان «المنبر الحر»^(١) ، ونظرا لجودة هذه الكتابات شك بعض الأدباء أن يصدر ذلك من سيد قطب وخاصة وهو لا يزال في بداية شهرته الأدبية وظنوا أنها لأستاذه العقاد .

وتشغل سيد قطب الحياة الفكرية وتملاً عليه حسه وفؤاده ، ويمضي في الطريق الذي اختاره لنفسه لتحقيق أمجاده الأدبية ، ويجوئ المعارك الفكرية كلما لاح في الأفق ما يشجع على خوضها ، وينحاز للدفاع عن أدب العقاد ضد أدب الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ~ ، وأنصاره من أمثال : محمود شاكر ، وعلي الطنطاوي ، وسعيد العريان ، وإسماعيل مظهر متها أولئك في مذهبهم الأدبي بالتصنع والابتعاد عن الواقعية ، وذلك حين يقول : «أما شأن الرافعيين معي شأن الرافعي مع العقاد

(١) انظر مجلة «الأسبوع» السنة (١) ، الأعداد ٣١ - ٣٥ ، عام ١٣٥٣ ، ١٩٣٤ .

سواء بسواء كنت أعرض لهم الحياة المائجة الهائجة فيعرضون علي النصوص والألفاظ ، وكنت أحاول أن أفتح أبصارهم ، وأفتق إحساسهم ، وأفهمهم أن الدنيا شيء غير التعبير المزوق ، وغير اللفتات الذهنية القسرية ، والمعاني اللولبية ، والجمل المثنية المتراقصة ، فيأبون إلا أن يعودوا إلى هذا العبث العاثر في لف ودوران»^(١) .

بجانب هذا خاض سيد قطب معركة أخرى مع الدكتور محمد مندور حول موضوع «الأدب المهموس»^(٢) ، وفيه يرفض أن يكون هناك ما يسمى بأدب مهموس في الأدب المهجري ، كما يذهب إلى ذلك مندور ، ويرى أن الأدب الصحيح هو الذي يعتمد على الصدق لا الهمس؛ إذ الصدق هو الميزان الحق الذي ينبغي أن ننظر إليه حين نود أن نقيم عملاً أدبياً ما .

كما كانت له معركة أخرى مع الأستاذ «دري خشبة» حول موضوع «شعراء الشباب»^(٣) ، ومع الأستاذ صلاح ذهني حول قصص «محمود تيمور» ، وكذلك مع الأستاذ عبد المنعم خلاف حول كتابه «التصوير الفني»^(٤) في القرآن .

وقد تألق نجم سيد قطب في هذه المعارك كلها ، واستطاع أن يفرض حضوره في الساحة النقدية ، وأن يتنزع الإعجاب من رواد الفكر حينذاك والرأي العام المثقف .

وتابع سيد قطب - تعالى مسيرته ، مضاعفا جهده في ميدان النقد الأدبي حتى وصل إلى مستوى التنظير؛ إذ اهتم بتقعيد النقد ، ووضع مناهجه وتحديد طرقه

(١) الرسالة، السنة ٦، العدد ٢٨٠، ص ١٨٦٤، عام ١٣٥٧، ١٩٣٨ .

(٢) راجع الرسالة السنة ١١، الأعداد: (٥١٥، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٢٢)، عام ١٣٦٢هـ، ١٩٤٣م .

(٣) راجع الرسالة، السنة ١٢، العدد ٥٦٢، ص ٣١٨، والعدد ٥٦٤، ص ٣٦٠ عام ١٣٦٤، ١٩٤٤ .

(٤) راجع الرسالة، السنة ١٢، العدد ٥٨٨، ص ٩١٩، والعدد ٥٩٠، ص ٩٥٩، عام ١٣٦٤، ١٩٤٤ .

(٥) راجع الرسالة السنة ١٣، العدد ٦٠١، ص ٤٣، والعدد ٦١١، ص ٢٧٨، عام ١٣٦٥، ١٩٤٥ .

ومدارسه ، وتعيين مذاهبه ، وخير ما يمثل ذلك كتابه «النقد الأدبي : أصوله ومناهجه» و«كتب وشخصيات» ، وبذلك أصبح الناقد الأول في مصر بعد جيل طه حسين ، والعقاد ، وعبد الرحمن شكري ، بدون منازع .

ولم يكن سيد قطب بارزاً في هذا الميدان فقط؛ بل إنه برز في مجالات أدبية أخرى ، وفق فيها أيما توفيق ، فكتب الشعر ، وأودعه وجدانه ورؤاه ، وكتب القصة وضمنها أفكاره ورؤيتها للأشياء ، وتحليله لبعض قضايا الإنسان المعذب ، وكتب الخاطرة الفنية ، وعالج فيها مفاسد المجتمع وبؤسه وانحرافاته .

والحقيقة التي ينبغي ألا نغفل عنها هي أن سيداً تعددت مواهبه نتيجة ما وهبه الله من قدرات فكرية ، ونبوغ فريد ، وعبقريّة نادرة ، لذلك برز في الساحة السياسية كاتباً سياسياً يصول ويجول ، فانتسب أول مرة إلى حزب الوفد ، وخاصة والعقاد من الأعضاء البارزين فيه ، ولكنه شعر بأن التنظيمات الحزبية ليست في المستوى الذي يمكن أن يحقق للأمة تطلعاتها^(١) فتخلى عن النشاط الحزبي .

وقد مارس الكتابة السياسية بعد عام ١٣٥٩ - ١٩٤٠ وتولت مجلة «الرسالة» و«العالم العربي» نشر ذلك ، وتناول بالتحليل قضايا الوطن والاحتلال الأجنبي وغير ذلك مما سنتحدث عنه وشيكاً في فصل خاص من الباب الثاني .

وبرز كذلك سيد في ساحة الإصلاح الاجتماعي؛ إذ اهتم اهتماماً خاصاً بالجانب الاجتماعي في مصر وغير مصر ، وكتب في هذا مقالات عديدة تحدث فيها عن قضايا الإصلاح الاجتماعي ، وسيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني .

(١) انظر : الحوار الذي أجرته مع شقيقه محمد مجلة «الغرباء» ، الذي نقلته مجلة «المجتمع» الكويتية ، العدد ٢٧٥ ، ص ١٤ ، عام ١٣٩٥ .

ونظرا لاهتماماته السياسية والاجتماعية التي أخذها على كاهله وناضل من أجلها نضالا لا يعرف المداينة والمجاملة ، وكانت مجلة «الفكر الجديد» التي كان يشرف عليها ويمولها الحاج محمد حلمي الميناوي صاحب دار الكتاب العربي وأحد أعضاء «جماعة الإخوان المسلمين» من مجلة المجلات التي عرض فيها اهتماماته تلك والتي كانت - أي الفكر الجديد - تتحامل على الإقطاعية الطاغية أقول : نظرا لذلك ضيق الحكم القائم على هذه المجلة الخناق ولم يصدر منها إلا اثنا عشر عددا^(١) .

وبسبب صدور هذه المجلة حاول الملك فاروق^(٢) ، بعد أن باءت محاولات اعتقاله لسيد بالخسران ، أن يغتاله^(٣) ، فكلف من أطلق عليه الرصاص ، وباءت كذلك هذه المحاولة بالخسران .

وخاض لأجل ذلك معركة الدفاع عن الشعب المصري المستعبد ، الأمر الذي جعله يدرس الشيوعية والحركات السياسية ، فأكب على موازنة الإسلام بالمذاهب الأخرى ، وراح يكتب بمجلة «اللواء الجديد» التي كان يصدرها الأستاذ فتحي

(١) انظر : الحوار السالف الذكر ، ويذهب الأستاذ يوسف العظم في كتابه «الشهيد سيد قطب» ، إلى أن مجلة «الفكر الجديد» ، صدر منها ستة أعداد راجع ص ٢٢٧ ، على حين الأستاذ عبد الباقي محمد حسين في الببليوغرافيا التي وضعها ملحق برسالته «سيد قطب حياته وأدبه» ، والتي تشمل ما نشره سيد قطب من أعمال في المجلات والصحف أورد عشرة أعداد منها ، وهذا هو الأوثق عندي ، لأن من طبيعة الببليوغرافيا التركيز مع الشمولية في الإحصاء .

(٢) هو ملك مصر (١٣٣٨ - ١٣٨٥ هـ ، ١٩٢٠ - ١٩٦٥) أبوه هو فؤاد الأول تلقى تعليمه على أساتذة خصوصيين سافر إلى إنجلترا للدراسة ، وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قامت ثورة الجيش فأطاحت به غادر مصر ومات فجأة بروما حيث كان يقيم ، ثم نقل جثمانه إلى مصر ، انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٦٤ ، دار الشعب مكتبة فرنكلين للطباعة والنشر ، وانظر عطية : الله «أحمد» القاموس السياسي ص ٨٤٧ وما بعدها ، ط دار النهضة العربية ، ١٩٦٨ .

(٣) انظر : صلاح الخالدي «سيد قطب الشهيد الحي» ، من ١١٨ ، وهو يعتمد في هذا الخبر مسودة بحث للدكتور عبد الله عزام .

رضوان والتي كانت تنطق باسم الحزب الوطني ، وكانت مقالاته جملة وتفصيلا صريحة غاية في الصراحة لا تداري ولا تدهن؛ لذلك حقق معه غير ما مرة ^(١) ، ولكنه تابع مسيرته دون مبالاة .

رحلة إلى العالم الجديد :

في عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٨ هـ ^(٢) سافر سيد إلى «أمريكا» في مهمة دراسية لتحديد في الوقوف على المناهج الدراسية وأصول التعليم بعكس ما ذهب إليه الأستاذان : أحمد الجدع وحسن أدهم جرار في كتابهما «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث» ^(٣) من أن السيد اختير في بعثة دراسية إلى «أمريكا» فحصل على الماجستير؛ ذلك أن رحلته هذه لم تكن من أجل الحصول على شهادة علمية ، وإنما كانت فقط رحلة للاطلاع على مناهج التعليم في مختلف الجامعات والمعاهد الأمريكية بوصفه أحد موظفي وزارة المعارف ، وقد نقل ذلك الأستاذ مصطفى العالم عن سيد نفسه فيما كتبه عنه بصحيفة «الشهاب» البيروتية ، ومما يؤيد هذا ما قاله أخوه الأستاذ محمد من أن : «بعثته لم تكن محدودة بزمان معين ، وإنما كانت مدتها تنتهي بانتهاء دراساته الميدانية ، فقد كان أمر إنهاؤها بيده هو يعود متى شاء » .

ولو أن رحلته كانت لأجل الحصول على الماجستير ما كان أمر إنهاؤها بيده كما قال شقيقه ؛ إذ الدراسة الانتظامية ليست بيده إنما هي بيد الجامعة .

ولو أن رحلته أيضا كانت لأجل هذا الغرض كذلك لذكر سيد نفسه ذلك في

(١) انظر : حوار شقيقه السابق .

(٢) ذهب الأستاذ مهدي فضل الله في كتابه «مع سيد قطب في فكره السياسي والديني» (ص ٥٠) ، إلى أنه سافر إلى أمريكا عام ١٩٤٩ ، وما أثبتته هو الصحيح عندي اعتمادا على ما جاء في حوار شقيقه السالف الذكر وهو مقدم على غيره ، ويؤيد هذا العظم والخالدي في كتابيهما عن سيد .

(٣) يذهب المؤلفان في هذا الكتاب بأنه سافر سنة ١٩٤٧ ، والصحيح ما أثبتناه .

الحلقات التي نشرها من كتابه الضائع «أمريكا التي رأيت»، والتي نشرها تحت عنوان في «ميزان القيم الإنسانية» في مجلة «الرسالة».

سافر سيد إلى «أمريكا» في هذه المهمة الدراسية، وكانت هذه الرحلة، في الحق، طريقا للخلاص جعلته يفيء إلى نفسه، ويتساءل عن السلوك الذي يمكن أن يسلكه في العالم الجديد قائلا: «أذهب إلى أمريكا وأسير فيها سير المبتعثين العاديين الذين يكتفون بالأكل والنوم لابد من التمييز بسمات معينة؟ وهل غير الإسلام والتمسك بآدابه والالتزام بمنهجه في الحياة وسط هذا المجمعان المترف المزود بكل وسائل الشهوة واللذة الحرام، وأردت أن أكون الرجل الثاني، وأراد الله أن يمتحنني، هل أنا صادق فيما اتجهت إليه أم هو مجرد خاطرة؟»^(١).

بهذا التساؤل أشرق في أعماق سيد نور الإيمان، فاختر نعم ما اختار، طريق الهدى يمشي على نوره، وكان في غمار هذا الاختيار ابتلاء بعد لحظات يشبه إلى حد بعيد، ابتلاء يوسف عليه السلام الذي ذكره الله تعالى في كتابه الكريم^(٢) في القصة المعروفة بينه وبين امرأة العزيز^(٣) مع فارق بين الابتلاءين: ابتلاء النبوة وابتلاء فرد عادي من البشر؛ وآية ذلك أن سيدا ما أن دلف إلى غرفته في السفينة حتى اقتحمت عليه فتاة الغرفة تراوده عن نفسه، وفي ذلك يقول: «فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة فارعة الطول شبه عارية يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري، وبدأتني بالإنجليزية هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عليه هذه الليلة»^(٤)، فاعتذرت بأن الغرفة معدة

(١) انظر: صحيفة «الشهاب» البيروتية، السنة ٦، العدد ٩، ص ٨، عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٢) أورد الله تعالى القصة في سورة يوسف.

(٣) وزير مصر حينذاك وكان على خزائنها، انظر: ابن كثير «إسماعيل»، تفسير القرآن العظيم ج ٢، ص ٤٧٣، طبعة دار الفكر.

(٤) انظر: صحيفة «الشهاب» السابقة الذكر.

لسرير ، وكذا السرير لشخص واحد ، فقالت : وكثيرا ما يتسع السرير الواحد لاثنين ، واضطرت أمام وقاحتها ومحاولة الدخول عنوة لأن أدفع الباب في وجهها لتصبح خارج الغرفة ، وسمعت ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر فقد كانت مخمورة» .

هكذا تفوق سيد على نزعات الشهوة فانتصر على نفسه الأمارة بالسوء في الامتحان الأول الذي امتحنه الله به في المرحلة الأولى من تحوله المفاجئ إلى الإسلام ؛ لذلك حمد الله تعالى قائلا : «هذا أول ابتلاء وشعرت باعتزاز ونشوة ، إذ انتصرت على نفسي ، وبدأت أسير في الطريق الذي رسمته لها» ^(١) .

وهذه الإشارة الإيمانية التي ضاءت بها أعماقه كانت حافزا له ، وهو في البصرة ، إلى أن يدعو المسلمين الموجودين فيها إلى إقامة صلاة الجمعة به تحديا لمنصّر كان يزاول عمله التنصيري في السفينة ، يقول متحدثا عن هذه النازلة : «كنا نفرا من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخز بنا عباب المحيط الأطلسي إلى «نيويورك» من بين عشرين ومائة راكبا وراكبة أجنب ليس فيهم مسلم ، وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة والله يعلم أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسه دينية إزاء «مبشر» كان يزاول عمله على ظهر السفينة ، وحاول أن يزاول تبشيرنا معنا ، قد يسر لنا قائد السفينة - وكان إنجليزيا - أن نقيم صلاتنا ، وسمح لبحارة السفينة وطهايتها وخدمتها - وكلهم نوبيون مسلمون - أن يصلي منهم معنا من لا يكون في «الخدمة» وقت الصلاة وقد فرحوا بهذا فرحا شديدا ، إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة ، وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة» ^(٢) .

(١) انظر : صحيفة «الشهاب» السابقة الذكر .

(٢) انظر الظلال : المجلد ٤ ، ص ٤٢٢ ، ط ٦ .

أقام سيد قطب في العالم الجديد فعائين حضارته الهابطة ، وجرت له فيه ما لم يكن يتصوره من مواقف الإغواء ، من ذلك ملاحظات فتاة له كلما انتقل من جامعة إلى أخرى ، أو سافر من مدينة إلى أخرى ^(١) ، وربما هذا من الخطط الأمريكية الشيطانية لاحتواء سيد واصطياده وإيقاعه في شرك الحضارة الغربية السفهية .

كما جرى له مع بعض الشباب الأمريكيان حوار عن الجنس ، وحاول أن يغريه بشتى الوسائل لتخديره دون جدوى ، وقد استطاع في هذا المجتمع الإباحي أن يتصر على نزعات النفس الأمارة بالسوء ، يحكي سيد عن بعض ذلك فيقول : « قالت لي إحدى الفتيات الأمريكيات في معهد المعلمين «جربلي كولورادو» في أثناء مناقشة عن الحياة الاجتماعية في أمريكا ، إن مسألة العلاقات الجنسية مسألة بيولوجية بحتة ، وأنتم الشرقيين ، تعتقدون هذه المسألة البسيطة بإدخال العنصر الأخلاقي فيها ، فالحصان والفرس والثور والبقرة والكبش والنعجة والديك والفرخة لا يفكر أحد منهما في حكاية الأخلاق هذه وهو يزاوِل الاتصال الجنسي ، ولذلك تمضي حياتها سهلة بسيطة مريحة » ^(٢) .

ويحكي سيد أيضا عن بعض ذلك قائلا : « كنت مع زميل مصري في هذا الفندق - بعد وصولنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بيومين اثنين - وقد أمس إلينا عامل المعهد الزنجي لأننا أقرب إلى لونه ، لأننا لا نحتقر الملونين فجعل يعرض علينا خدمات في الترفيه ويذكر عينات من هذا الترفيه بما فيها الشذوذات المختلفة » ^(٣) .

(١) انظر : صحيفة «الشهاب» البيروتية السابقة الذكر .

(٢) انظر : كتابه : الإسلام ومشكلات الحضارة ، ص ٧٤ ، طبعة ١٩٦٢ .

(٣) انظر : كتابه : الإسلام ومشكلات الحضارة ، ص ٧٥ .

وبعد رجوعه أيقن أن المجتمع الغربي غير صالح مطلقا للاقتداء ، وقد صرح بذلك لصديقه الأستاذ توفيق الحكيم في رسالة بعث بها إليه يهاجم فيها الحضارة الأمريكية المتفسخة ، وصرح به أيضا في كتابه : «أمريكا التي رأيت» مؤيدا ذلك بالحجة ، والبرهان ، ومحللا في الوقت نفسه البنية المجتمعية المنخورة للعالم الجديد .

في الحق إن رحلته إلى «أمريكا» كانت محكاً لمشاعره ، ومجھراً شاهد من خلاله حقيقة الحضارة الغربية ، فحفزه ذلك إلى أن يغير نظرتة نحو هذه الحضارة وينظر إليها نظرة الاحتقار خاصة ما يتعلق بواجهة الإباحية فيها وواجهة الاستعباد والميز العنصري .

وعرفته هذه المرحلة - بجانب ذلك - بما يكنه الغرب من حقد على الإسلام ، وليس أدل على ذلك من أنه لاحظ فرحة تغمر الأوساط الأمريكية حين بلغها اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا رحمته الله ، وفي هذا يقول : «كنت يومها في أمريكا ، أي يوم قتل الإمام الشهيد حسن البنا ، ولم أكن أعطي الحركة الإسلامية ولا لمرشدها من اهتمامي ما يجعلها على مستوى التنظيمات السياسية ، أو الدعوات الاجتماعية الأخرى ، ولم أكن أتصور أنها تشكل في بؤرة الشعور الغربي شيئا يذكر حتى صدمني الواقع من حولي في أمريكا ، وهزني وفتح عيني فتحا على ما لم أفطن إليه قبل .

لقد شهدت مظاهر الابتهاج والفرحة والشماتة في كل شيء من حولي في الصحافة ، وفي جميع أجهزة الإعلام ، وفي كافة المنتديات ، كلها تهلل ويهنئ بعضها بعضا بالتخلص من أخطر رجل في الشرق ، فعجبت من هذا الاهتمام به والتقييم لحركته ، والتتبع الواعي إلى هذا الحد الذي لا وجود لمثله في بلادنا نفسها ، وعلمت أن في الأمر سرا أكبر يغيب عني يكمن في طبيعة دعوة هذا الرجل .

ووصلت «مصر» وقرأت جميع رسائل الإمام الشهيد ، ووقفت على سيرته النقية وأهدافه الحقّة ، وعلمت لماذا يحارب ، ولماذا قتل ، وعاهدت الله على أن أحمل الأمانة بعده ، وأواصل السير على نفس الطريق الذي لقي الله عليه ، والذي آمنت به ، وهداني إليه وأنا في أمريكا ^(١) .

(١) انظر : مجلة «المجتمع» الكويتية ، ص ١٠ ، ١١ ، العدد ١١٥ ، ١٩ رجب ١٣٩٢ ، ٢٩ غشت ١٩٧٢ م .